مجلة جامعة الرازي

للعلوم الإدارية والإنسانية

RUHMS

عملية محكمة تصدر عن مركز البحث العلمي، وكلية العلوم الإدارية والإنسانية – جامعة الرازي

Print ISSN: 2791-3287& Online ISSN: 2791-3295

جامعة الرازي

Al-Razi University

جامعة الرازي

كلية العلوم الإدارية والإنسانية

ديسمبر 2023م

المجلد الرابع

العدد الثامن

الهيئة الاستشارية

الرقم	الاسم	التخصص	الجامعة	الدولة
1	أ. د / عبدالله عبدالله السنفي	إدارة أعمال	جامعة صنعاء	اليمن
2	أ. د / صالح حسن الحرير	إدارة أعمال	جامعة عدن	اليمن
3	أ. د / طلعت اسعد عبد الحميد	إدارة أعمال	جامعة المنصورة	مصر
4	أ. د / حسن عبد الوهاب حسن	إدارة أعمال	جامعة القران الكريم	السودان
5	أ. د / نجاة محمد جمعان	إدارة أعمال	جامعة صنعاء	اليمن
6	أ. د / احمد علي الحاج	تخطيط تربوي	جامعة صنعاء	اليمن
7	أ. د / محمد احمد الجلال	طرائق التدريس	جامعة ذمار	اليمن

الإشـــراف العـــام

د / طـارق علي النهمي
رئيس مجلس الأمناء

رئيس التحرير

د / عبد الفتاح القرص
عميد كلية العلوم الإدارية والإنسانية

مدير التحرير

د / نجيب علي إسكندر
رئيس قسم الإدارة الصحية

هيئة التحرير

أ.د/ نبيـــــــــــل الربيعـــــــــــي
د/ تركـــــــي يحيـــــــى القبانـــــــي
د/ عبـــد الفتـــاح علـــى القـــرص
أ. د/ محمـــــد محمـــــد القطيبـــــي
د/ محمـــــد حســـــيني الحســـــيني
أ. م. د/ صالـــــح علـــي النهـــــاري
د/ أحمـــــد محمـــــد الحجـــــوري

رقم الإيداع في دار الكتب الوطنية – صنعاء ( ) لسنة 2020م

مجلة جامعة الرازي – مجلة علمية محكمة – تهدف إلى إتاحة الفرصة للباحثين لنشر بحوثهم العلمية باللغتين العربية والإنجليزية في مختلف العلوم الإدارية والإنسانية

مجلة جامعة الرازي للعلوم الإدارية والإنسانية

مجلة علمية محكمة تعنى بنشر البحوث في مجال العلوم الإدارية والإنسانية

تصدر عن مركز البحث العلمي، وكلية العلوم الإدارية والإنسانية – جامعة الرازي – اليمن

توجه المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان الآتي:
مجلة جامعة الرازي للعلوم الإدارية والإنسانية

ص.ب:.....، الرمز البريدي..... اليمن

هاتف : 774440012 – 216923

فاكس : 406760

البريد الإلكتروني: ruahms@alraziuni.edu.ye

صفحة الإنترنت: www.alraziuni.edu

مجلة جامعة الرازي للعلوم الإدارية والإنسانية. المجلد (4)، العدد (8)، صفحة من 120 الى 135

القيم والأخلاقيات الإيجابية للإنسان في الشعر العربي في العهد المملوكي الأول

د.عبدالرحيم محمد عبدالله حسن الواصلي

قسم اللغة العربية–كلية الآداب– جامعة إب– اليمن

المستخلص:

يهدف البحث إلى الرصد والدراسة لأهم الأخلاقيات الإيجابية للإنسان في الشعر العربي في العهد المملوكي الأول(648-784هـ) في كل من مصر وبلاد الشام، وفي رصد مادة البحث وتتبع نصوصه اعتمد البحث المنهج الاستقرائي بالإضافة إلى آلتي الوصف والتحليل، كما قسّم البحث على مقدمة وثلاثة محاور: أولها: للكرم والشجاعة، وثانيها: للصبر والوفاء، وثالثها: للصداقة والمودة، وخلصت نتائج البحث إلى أنّ الشاعر العربي في العهد المملوكي الأول قد عبّر عن كثير من القيم الإنسانية والأخلاقيات الإيجابية كالكرم والشجاعة، والصبر والوفاء، والمودة والصداقة وغيرها، والتي عكست في مجموعها عراقة الإنسان العربي وارتباطه بإرثه الإنساني القيمي والحضاري، فضلاً عن قدرة الشاعر العربي على إبراز تلك القيم وتصويرها بصورة فنية وواقعية، تظهر حقيقة المجتمع العربي المحافظ وإنسانية أدبه وشعره.

كلمات مفتاحية: أخلاقيات، إيجابية، شعر عربي، مملوكي

ABSTRACT

The research aims to monitor and study the most important positive human ethics in Arabic poetry in the first Mamluk era (648-784 AH).in both Egypt and the Levant. In monitoring the research material and tracking its texts, the research adopted the inductive approach in addition to the methods of description and analysis. The research was also divided into an introduction and three axes. The first: for generosity and courage, the second: for patience and loyalty, and the third: for friendship and affection. The results of the research concluded that the Arab poet in the first Mamluk era expressed many human values and positive morals, such as generosity, courage, patience, loyalty, affection, friendship, and others, which in their entirety reflected the antiquity of the Arab person and his connection to his human, valuable and cultural heritage, in addition to the ability of the Arab poet to highlight These values, and their artistic and realistic portrayal, show the reality of conservative Arab society and the humanity of its literature and poetry.

Keywords: ethics, positivity, Arabic poetry, Mamluk

المقدمة:

تعدّ القيم الأخلاقية من أهم الوسائل لتحقيق طموحات المجتمعات الإنسانية وأهدافها في الحياة، فهي "أداة بناء حضاري تعمل على ترسيخ ما له أحقيّة الوجود، فتحارب الخطأ والسّلبيات، وتدعم الصواب والايجابيات في المجتمع الإنساني؛ لترتقي به إلى الأفضل"[1].

وللإنسان العربي في الحياة الإنسانية أخلاقيات إيجابية، أسهمت في دفع مسيرته الحضارية، وأخرى سلبية، أسهمت في تأخيرها[2]، وللشّعراء إسهامات تكاد تكون شاملة لجميع مناحي الحياة الإنسانية، ومنها النواحي الأخلاقية التي سادت في مجتمعاتهم، وعبّروا عنها في مختلف العصور الأدبية.

وثمّت علاقة وثيقة بين الشّعر- بوصفه فناً إنسانياً، يعتمد على العاطفة والخيال، وهدفه الإمتاع- وبين القيم الأخلاقية الإيجابية- بوصفها معيار إنسانية الإنسان، وهدفها تهذيب سلوكياته- فهما وإن اختلفا في ذلك "يلتقيان في الغاية النهائية، وهي مدح الفضيلة وتمجيدها، وذم الرذيلة وتحقيرها"[3].

والقيمة الأخلاقية في أبسط مفاهيمها ودلائلها تعني:" التزام الفرد بما تمليه عليه عقيدته"[4]، وهي تختلف من بيئة لأخرى تبعاً لاختلاف عقيدة المجتمع في كل بيئة[5]، فإن كانت العقيدة صحيحة سامية وسليمة تبنى معتنقوها أخلاقاً إيجابية كريمة وشريفة، وإن كان المعتقد سيئاً أو باطلاً نشأ معتنقوه على أخلاق سلبية دنيّة ورذيلة؛ لذلك لا غرابة أن تجد الشاعر العربي— في العصور الأدبية المختلفة- يعبّر عن أخلاقيات مجتمعه وقيمه، من خلال ما يعيشه الشاعر من تجارب شعورية، تتفاعل مع تصوراته ورؤيته للقيم الإنسانية، التي تهدف إلى" السمو بالإنسانية، والتطلع إلى ما هو أفضل في إسعادها ورقيها"[6].

وإدراكاً بأهمية البحث والدراسة في قضايا الشعر العربي لاسيما في العصر الوسيط الذي تعدّ الدراسات والبحوث فيه قليلة مقارنة بما سبقه أو لحقه من العصور الأدبية؛ فقد قام الباحث بدراسة هذا الموضوع، أملاً في أن يسهم في توضيح جانباً من الصورة الحقيقة للشعر العربي في هذه الحقبة.

ومما أكسب البحث أهمية أخرى أنّه لا توجد دراسة سابقة لهذا الموضوع في الشعر العربي خلال العهد المملوكي الأول، وما تمّ الوقوف عليه من الدراسات السابقة للقيم الأخلاقية في الشعر العربي هو في عصور أخرى منها أطروحة دكتوراه، الإيجابية والسلبية في الشّعر العربي بين الجاهلية والاسلام، علي شواخ إسحاق، جامعة القديس يوسف- بيروت، 1981م، وأطروحة دكتوراه بعنوان مفهوم الأخلاق في الشّعر العربي في العصر العباسي الأول، محمد شحادة تيم، جامعة أم القرى، 1994م، وأطروحة دكتوراه بعنوان القيم الأخلاقية في الشعر العربي الجاهلي، انتصار مهدي عبدالله، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، 2008م، وبحث بعنوان القيم الأخلاقية والإنسانية في شعر أبي فراس

---

(1) القيم الأخلاقية والإنسانية في شعر أبي فراس الحمداني وسلوكه، د سميحا زريقي، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، ع8، 2012م، ص30.

(2) ينظر: الإيجابية والسلبية في الشّعر العربي بين الجاهلية والاسلام، علي شواخ إسحاق، دكتوراة، جامعة القديس يوسف- بيروت، 1981م، ص9.

(3) مفهوم الأخلاق في الشّعر العربي في العصر العباسي الأول، محمد شحادة تيم، دكتوراة، جامعة أم القرى، 1994م، ص1.

(4) من القيم الأخلاقية في الشّعر الجاهلي: دراسة موضوعية، سعاد سيد محجوب، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، مجلة اللغة العربية وآدابها، مج1، ع5، ديسمبر 2022م، ص22.

(5) ينظر: القيم الأخلاقية في الشعر العربي الجاهلي، انتصار مهدي عبدالله، رسالة دكتوراه، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، 2008م، ص5، والقيم الثقافية في لامية ابن الوردي، بودراس خلود، وبودراس سليمة، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2022م، ص31.

(6) مفهوم الأخلاق في الشّعر العربي في العصر العباسي الأول، ص2.

الحمداني وسلوكه، د سميحا زريقي، بحث في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، ع8، 2012م، وبحث بعنوان: من القيم الأخلاقية في الشِّعر الجاهلي: دراسة موضوعية، سعاد سيد محجوب، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، مجلة اللغة العربية وآدابها، مج1، ع5، ديسمبر 2022م، وكلّ هذه الدراسات وغيرها تناول الموضوع في غير نطاق هذا البحث، باستثناء رسالة ماجستير بعنوان القيم الثقافية في لامية ابن الوردي، بودراس خلود، وبودراس سليمة، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2022م، فإنّها تتصل بصورة مباشرة بموضوع هذا البحث، لكنّها اقتصرت في شواهدها على قصيدة واحدة لشاعر واحد، بخلاف هذا البحث الذي يشتمل على شواهد متنوعة من الشعر العربي في العهد المملوكي الأول.

وبناء على تصنيف أهم الأخلاقيات الإنسانية إلى إيجابية وسلبية، فإنّ هذا البحث يهدف إلى رصد أهم الأخلاقيات الإيجابية ودراستها، فيما سيتم دراسة الأخلاقيات السلبية في بحث آخر، وسوف يعتمد الباحث في دراسة موضوعه المنهج الاستقرائي، متناولاً بالوصف والتحليل الموضوعي والفني أهم القيم والأخلاقيات الإيجابية في الشعر العربي خلال هذا العهد، في أهم حاضرتين عربيتين في تلك الآونة هما مصر وبلاد الشام.

فالقيم والفضائل الإيجابية تحتل أهمية كبيرة في حياة الإنسان، فهي تمثّل "الباب الأوسع لولوج صرح الإنسانية، والترقي المتدرج نحو عالم المثل"[7]، وهي العامل الأساسي في تحمل الإنسان لتبعات الحياة وشدائدها، ورغبته في العيش وحبه للحياة بشكل عام.

وفي العهد المملوكي الأول يمضي الشاعر العربي في تصوير القيم والأخلاقيات الإيجابية في مجتمعه، مادحاً ومفتخراً بها، وداعياً الآخرين إلى التحلي والتخلق بها، وهي كثيرة ومتنوعة، يدرس البحث أبرزها في ثلاثة محاور هي:

أولاً: محور الكرم والشجاعة:

أ- **الكرم والجود:** من أهم القيم التي افتخر بها الإنسان العربي الكرم والجود، بل كانت عنوان مكانته ومصدر رفعته على مدى تاريخ حضارته الإنسانية، وأصبح الإنسان العربي يتوارثها كابرا عن كابر حتى العصور الحالية، وهو ما يؤكد عراقتها وأصالتها في المجتمعات العربية[8]، لذا فإنّ الشاعر العربي في العهد المملوكي يوجه اهتمامه صوب هذه القيمة ويجعلها في مقدمة خصال ممدوحه ومحامده، فضلاً عن افتخاره بها، والردّ على لائمه في كرمه، فمن ذلك قول ابن العديم ت660هـ: من الطويل

سألزمُ نفسي الصفحَ عن كل من جنى ... عليَّ وأعفو حسبة وتكرُّما

وأجعل مالي دون عرضي وقاية ... ولو لم يغادر ذاك عندي درهما

وقائلة يا ابن العديم إلى متى ... تجود بما تحوي ستصبح مُعدَما

فقلت لها: عني إليك فإنني ... رأيت خيار الناس من كان منعِما

أبى اللومَ لي أصلٌ كريمٌ وأسرةٌ ... عقيليةٌ سنّوا النّدى والتكرّما[9]

---

[7] آفاق الشِّعر العربي في العصر المملوكي، ياسين الأيوبي، جرّوس برس، ط1، 1995م، ص 296-297.

[8] ينظر: الإنسان في الشِّعر الجاهلي، عبدالغني أحمد زيتوني، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، ط1، 2001م، ص253-254.

[9] تذكرة ابن العديم كمال الدين ابن أبي جرادة ت660هـ، تحقيق إبراهيم صالح، دار الكتب الوطنية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1، 2010م، ص47، والشاعر هو كمال الدين، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة كاتب وأديب شامي عاش متنقلا بين حلب ومصر وشعره مجموع في مقدمة تحقيق التذكرة، توفي بمصر سنة 660هـ، ينظر: ترجمته في مقدمة تحقيق المصدر السابق، ص5-18.

يجعل الشاعر من المال وسيلة لصيانة عرضه، مفتخراً بشيمة الكرم التي يعدها من قيم آبائه وقبيلته، لكنّه لا يسلم من لوم اللائمين على إنفاقه المال، فعبّر عن ذلك بأسلوب الحوار القصصي الذي أسهم في إبراز قيمة الكرم بصورة تقرّب المعنى للمتلقي وتجعله أكثر واقعية.

ويشير شرف الدين الأنصاري ت662هـ إلى ذلك المعنى فيقول: من المديد

لامَني لُؤْماً فلا جرَمَاً أَنَّني خالَفْتُهُ كَرَماً

ظنَّ بَذْلَ المالِ مَنْقَصَةً فاجْتَرَا في المَنْعِ واجترما

والفَتَى والمِسْدي نوافلَهُ غانِمٌ أَضعافَ ما غَرِما

مَنْ أَهانَ المالَ عزَّ ومن حُرِم التَّقْوَى فقد حُرِما[10]

فالناس تتفاوت نظرتهم إلى المال فمنهم مَن يحرص عليه ويمسك به، ولا يكتفي بذلك فيلوم غيره على بذله وكرمه، لكن الفتى الحرّ الكريم لا يستعبده المال ولا يمسك به خشية الفقر، فهو يعلم أن الكرم والجود طريق الخير والعزة، والتقوى وطهارة النفس الإنسانية، في الدنيا والآخرة، ولإبراز هذه المعاني استعمل الشاعر أساليب فنية وبديعية متنوعة مثل المجانسة بين كلمتي(جرما وكرما) وبين كلمتي(اجترا واجترما)، والطباق بين كلمتي(بذل ومنع) وبين كلمتي(غانم وغرما) وبين كلمتي(أهان وعزّ)، والتكرار لكلمة(حرم)، فأسهمت تلك الأساليب البديعة في توضيح قيمة الجود والكرم بصورة فنية تجذب ذهن القارئ، وتثير تفكيره.

ولأهمية قيمة الكرم فقد جعلها الشّعراء في صدارة صفات المدح والثناء، فهذا أبو الحسين الجزار ت679هـ يصوّر كرم ممدوحه فيقول: من الطويل

ولستُ أخاف السِّحرَ من لحظاتها لأني بموسى قد أَمنتُ من السِّحرِ

فتىً إن سطا فرعونُ فَقرِي وجَدتُهُ يُغَرِّقُهُ من جودِ كَفَّيهِ في بَحرِ

له باليد البيضاء أعظمُ آيةٍ إذا اسودَّتِ الأيام من نُوَبِ الدَّهرِ[11]

لغرض إبراز قيمة الكرم في الممدوح استعمل الشاعر في هذه الأبيات عناصر فنية متنوعة منها التناص[12]مع بعض مشاهد قصة موسى عليه السلام مع فرعون في القرآن الكريم، مثل مشهد السحر في البيت الأول ومشهد إغراق فرعون في البحر في البيت الثاني، ومشهد آية يد موسى عليه السلام في البيت الثالث، وكذلك التورية في قوله:(لأني بموسى)؛ إذ ورّى باسم سيدنا موسى عليه السلام(وهو معنى قريب غير مراد) عن اسم ممدوحه الذي اسمه موسى كذلك (وهو المعنى البعيد المراد)، والتورية كذلك باليد البيضاء التي هي آية نبينا موسى عليه السلام، عن يد النعمة التي أنعم بها ممدوحه عليه، كما سعى الشاعر إلى إبراز عظمة قيمة الكرم في ممدوحه من خلال الصورة التشبيهية التي صور فيها اشتداد فقره وفتكه به، وإغراق ممدوحه لذلك الفقر في بحر جوده وكرمه، مشبهاً ذلك بشدة سطوة فرعون بموسى عليه السلام وقومه ولحاقه به، وإغراق الله

---

(10) ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري، تحقيق عمر موسى باشا، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د ط، دت، ص446، والشاعر هوالصاحب شرف الدين أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن خلف عرف بابن الرفاء وشيخ شيوخ حماة، وهو ينتسب إلى قبيلة الأوس الأنصارية،توفي بدمشق سنة662هـ،ينظر:ترجمته في مقدمة الديوان، ص13-23.

(11) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل الله العمري ت749هـ، تحقيق كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2010م، 168/18، والشاعر هو أبو الحسين جمال الدين يحيى بن عبدالعظيم بن يحيى الأنصاري، المعروف بالجزار لأنه كان يعمل بالجزارة، وهو من أشهر شعراء مصر في القرن السابع،عرف في شعره بالظرافة والمجون ت 679هـ ينظر: ترجمته في مقدمة ديوان التحريض على حفظ أوزان القريض تصنيف أبي الحسين الجزار ت679هـ، تحقيق محمود عبدالرحيم صالح وعبدالحليم حسين الهروط، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، م5، ع3، تموز2009م، ص12-14، ولم أجد الشاهد في هذا الديوان.

(12) مفهوم التناص عند محمد مفتاح هو" تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نصّ حدث بكيفيات مختلفة"، ينظر: تحليل الخطاب الشعري(استراتيجية التناص)، د محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1992م، ص121.

لفرعون وجنوده في البحر، وفضلاً عن عنصري المطابقة بين كلمتي:(البيضاء واسودت) والتكرار لكلمة السّحر فقد تضافرت كل تلك العناصر راسمة صورة جمالية أسهمت في إبراز قيمة الكرم في الممدوح، وشدة انتباه المتلقي، وأثارت إعجابه.

ويقول صفي الدين الحلي ت752هـ مصوراً كرم ممدوحه وجوده: من البسيط

لَو أَشبَهَتكَ بِحارُ الأرض في كَرَمٍ ... لَأَصبَحَ الدُرُّ مَطروحاً عَلى الطُرُقِ

لَو أَشبَهَ الغَيثُ جوداً مِنكَ مُنهَمِراً ... لَم يَنجُ في الأرض مَخلوقٌ مِنَ الغَرَقِ[13]

فالحلي في هذه الأبيات يصور المدى الذي وصل إليه جود ممدوحه وكرمه، متخذاً من التشبيهات المقلوبة وسيلة لإبراز ذلك، مثل تشبيه بحار الأرض والغيث المنهمر بيد ممدوحه في الكرم والجود، مدعياً أنّ وجه الشبه في ممدوحه أقوى وأبرز، ولا يخفى على القارئ ما في ذلك من المبالغة، التي يهدف الشاعر من ورائها إلى التأثير في قلب ممدوحه، ومن ثمّ تحقيق غرضه من المديح.

وأما ابن نباتة المصري ت768هـ فيقول واصفاً كرم ممدوحيه: من الطويل

وكم لكَ في داني الدِّيار ونازحٍ ... غيوثُ عطايا تخلط السهل بالوعرِ

يضنُّ بأحمال من التبن معشرٌ ... إذا اتصلت أحمال جودك من تبرِ[14]

سعى الشاعر إلى تصوير قيمة الكرم والجود، من خلال المقابلة بين الصور المختلفة لمظاهر البؤس والفقر لدى الناس، وصور الجود والكرم لدى ممدوحه متخذاً منها وسيلة لإبراز تلك القيمة فيه، وغالباً ما يكون المدح بها شكراً للممدوح على كرمه كما في هذا النص، أو دعوة إلى التحلى بها، كالصورة التي رسمها الحلي لممدوحه في النص السابق.

ب- الشجاعة والإباء:

تعدّ قيمة الشجاعة والإباء توأم قيمة الكرم والجود، فهما رفيقان لا يفترقان، فلا يكون الإنسان كريماً سخياً جواداً حتى يكون أبيّاً مقداماً شجاعاً، فمن يبخل بماله وفضله فهو بروحه ومهجته أشدُّ تمسُّكاً وأكثر بخلاً، لذلك ليس من الغريب أن تجد لدى الشاعر العربي – لاسيما في العصور الأولى- القصائد الشّعرية والمقطعات الفنيّة التي" تمجّد القوة وأسبابها؛ فتعلي من مكانة الفرد القوي، وتعتز بالمقاتل الشجاع، وتباهي بالفارس البطل"[15].

والشاعر العربي في العهد المملوكي الأول كان له من خلال أشعاره إسهام كبير في بثّ روح الشجاعة والبسالة، والإقدام والبطولة، لدى المقاتل العربي والمجاهد المسلم، لاسيما في الحروب الصليبية، والمعارك التترية التي جرت خلال هذا العهد، فقد واكب الشاعر العربي بشعره – وربّما بنفسه كذلك- تلك الأحداث والوقائع، مشاركاً مجتمعه ومحرِّضاً في الدفاع عن كرامته ودينه.

فمن ذلك قول ابن قَرْل المِشِدّ ت656هـ: من المتقارب

كسبنا الثناء غداة الهياجِ ... وقد أُطلقت للجياد الأعِنَّهْ

بسُمر الرِّماح وبيض الصِّفاح ... وخضر النِّصالِ وزُرقِ الأسِنَّهْ

---

[13] ديوان صفي الدين الحلي، دار صادر، بيروت، د ط، د ت، ص108، والشاعر هو أبوالمحاسن عبدالعزيز بن سرايا بن نصر الطائي شاعر عراقي تنقل بين الشام ومصر ومات في بغداد سنة 752هـ، ينظر: ترجمته في مقدمة الديوان، ص5-7.

[14] ديوان ابن نباتة المصري، للشيخ جمال الدين ابن نباتة المصري الفاروقي ت 768هـ، الناشر محمد القلقيلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت، ص197، والشاعر هو جمال الدين محمد بن محمد بن عبدالرحيم بن نباتة المصري ولد بمصر وتوفي فيها سنة 768هـ شاعر مشهور وله ديوان كبير، ينظر: ترجمته في مقدمة الديوان، ص 6 بترقيم الحاسوب.

[15] الإنسان في الشّعر الجاهلي، ص204.

وصُنَّا الحصون ببذْلِ المصونِ من النّفس والمال من غير ضِنَّةْ[16]

يعبّر الشاعر عن فخره واعتزازه بشجاعته وشجاعة قومه، مؤكداً أنّ طريقه لنيل كرامته وحريته، وحماية عرضه وعشيرته هو بذل المصون من النفس والمال، مستعملاً في إبراز تلك المعاني صوراً لونية وجمالية لافتة، مثل: المقابلة في قوله:بسُمر الرِّماح وبيض الصِّفاح، وفي قوله:وخضر النِّصالِ وزُرقِ الأسِنَّةْ، والمجانسة بين كلمتي:(الأعنّه والأسنّه)، وكلمتي:(الحصون والمصون)، والمطابقة بين كلمتي:(بذل وضنّه)، فأسهمت تلك العناصر الفنّية في زيادة الطاقة الدلالية والجمالية للنّص الشعري.

ويقول مجير الدين بن تميم ت684هـ مفتخراً بشجاعته: من الكامل

دعني أُخاطرُ في الحروب بمهجتي إمـا أمـوتُ بهـا وإمَّـا أُرزقُ

فسـوادُ عيشـي لا اراهُ أبيضـاً إلا إذا احمرَّ السنانُ الأزرقُ[17]

فخوض الحروب مفخرة للشاعر يجد فيها ضوءاً من المجد يُبيّض عيشه ويرفع قدره ومكانته، وقد استعمل في إبراز ذلك عناصر فنية أهمها: المقابلة في قوله:(إما أموتُ بها وإمَّا أُرزقُ)، والمطابقة بين الصور اللونية (السواد والبياض)، وبين (احمرّ والأزرق) في البيت الثاني، والمجانسة بين كلمتي: (أرزق والأزرق)، وكلها صور لونية تظهر مشاهد المعركة التي تبرز فيها قيمة الشجاعة والبسالة.

كما صوّر الشّعراء هذه القيمة في مديحهم، لاسيما عندما يكون الممدوح ملكاً أو سلطاناً أو قائداً عسكرياً، إذ تعدُّ الشجاعة والإقدام، والقدرة على مغالبة الأعداء، ومواجهة الخطوب والتصدي لها من أهم المؤهلات التي ينبغي أن يتمتع بها القائد أو السلطان لتولي زمام الحكم، فقد كان امتلاك القوة قانونا قامت على أساسه سلطة المماليك، ومضوا عليه في تداولهم للسلطة والحكم[18].

فهذا الشهاب محمود الحلبي ت725هـ يمدح أحد القادة والسلاطين الأقوياء وهو ركن الدين الظاهر بيبرس البندقداري ت676هـ[19]، وينعته بصفات كثيرة منها الإشادة بقوته وعزيمته وسطوته وهيبته في نفوس الأعداء فيقول: من الكامل

سرْ حيث شئتَ لك المهيمنُ جارُ واحكـمْ فطـوعُ مـرادك الأقـدارُ

لم يبـقَ للـدين الـذي أظهرتَـه يـا ركنـه عنـد الأعـادي ثـأرُ

لمـا تراقصـتْ الـرؤوس وحرّكـت مـن مطربـات قسـيّك الأوتـارُ

خضتَ الفرات بسابحٍ أقصى مُنى هوج الصّبا من نعله الآثارُ[20]

---

[16] ديوان ابن قزل المُشِدّ ت 656هـ، دراسة وتحقيق، هاني محمد حمود الرفوع، جامعة مؤتة، 2000م، 459/2، والشاعر هو أبوالحسن سيف الدين علي بن عمر بن قزل، المعروف بسيف الدين المُشِدّ ولد بمصر ونشأ بدمشق وتوفي فيها سنة 656هـ شاعر مجيد وله ديوان شعر مطبوع، ينظر: ترجمته في فوات الوفيات واذيل عليها، محمد بن شاكر الكتبي ت764هـ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، 1973- 1974م،51/3.

[17] ذيل مرآة الزمان، لأبي الفتح اليونيني ت 726هـ، دار الكتاب الاسلامي القاهرة، ط2، 1992م، 4/ 277، والشاعر هو مجير الدين محمد بن يعقوب بن علي، شاعر دمشقي وأحد أمراء الجند عاش في حماة وتوفي سنة 684هـ، ينظر: ترجمته في مقدمة ديوان مجير الدين ابن تميم ت684هـ نظرات واستدراك، عباس هاني الجراخ، ط1، 2009م ، ص6، ولم أجد الشاهد في هذا الديوان.

[18] ينظر: الأدب في العصر المملوكي، الدولة الأولى، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، د ط، دت، 17/1-18.

[19] ينظر: ترجمته في وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ت681هـ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، دط، 1977م، 155/4-156.

[20] ذيل مرآة الزمان، 3/ 3، والشاعر هو شهاب الدين أبوالثناء محمود بن سلمان بن فهد الحلبي الدمشقي، كاتب بارع وشاعر مشهور له دواوين متعددة، عاش في مصر والشام و توفي في دمشق سنة 725هـ، ينظر: ترجمة الشاعر في أعيان العصر وأعوان

يبرز الشاعر في هذه الأبيات شجاعة ممدوحه مستعملاً عنصر التصوير الفني من خلال الكناية في قوله:(فطوعُ مرادك الأقدار) كناية عن ملازمة النصر له في كل واقعة يخوضها، وفي قوله:(لم يبق...عند الأعادي ثأر) كناية عن قوة تنكيل ممدوحه بالأعادي، كما استعمل الشاعر الاستعارات المكنية في قوله:(تراقصتْ الرؤوس، مطربات قسيك، منى هوج الصّبا)، وكلها صور فنية أسهمت في توضيح قيمة الشجاعة في الممدوح وأكسبت النص جمالاً فنياً لافتاً.

فيما يصف صفي الدين الحلي ت752هـ شجاعة ممدوحه وعلو قدره ومقامه فيقول: من البسيط

جَـنى ثِمـارَ المعـالي حـينَ حاوَلَهـا ... بِصـارِمٍ ما خَـلا في الحَـربِ مِـن هَـرَجِ

حالَـت قَنـاةُ المنايـا في مَضـارِبِهِ ... فَظَـلَّ يُـنقِصُ أَبكـاراً مِـنَ المهَـجِ

جَلَتَ حَتّى لَوَ اَنَّ الصُبحَ لُحتَ به ... وَقُلتَ قِف لا تَلُج في اللَيلِ لَم يَلُجِ

جَرَّدتَ أَسيافَ نَصرٍ أَنتَ جَوهَرُها ... في حالِكٍ مِن ظَلامِ النَقعِ مُنتَسِجِ[21]

يصور الحلي في الأبيات صفات ممدوحه التي يأتي في صدارتها شجاعته وقوة بطشه بأعدائه، وشدة بأسه وثباته يوم الوغى، واستعمل لإبراز تلك القيم عناصر فنية منها الصورة الكنائية في قوله:(قَناةُ المنايا في مَضارِبِهِ) كناية عن كثرة القتلى الذين تحصدهم سيوفه، والبيت الثاني كله كناية عن عظمة ممدوحه وقوة سيطرته وتحكمه بمقاليد الأمور في المعركة، والبيت الثالث كناية عن قوة بأسه وثباته في أرض المعركة، وفي مثل هذا التصوير نجد أنّ الشاعر العربي في العهد المملوكي الأول قد صوّر قيماً إنسانية مهمّة في ممدوحه (السلطان أو القائد)منها الشجاعة والإقدام، والقوة والبسالة، والجدّ والعزيمة والتي كان أثرها على مجتمعه ودينه رعايةً وحفظاً وتحصيناً، وعلى أعدائه قتلاً وتشريداً وترهيباً.

وربما يكون الشاعر في هذا العهد أصدق عاطفة في تصوير تلك القيم في ممدوحه؛ إذ يأتي ذلك المديح في عهد قلَّ فيه التكسب بالمديح[22]، فضلاً عن تطلع المجتمع بشكلٍ عام إلى من يعيد للإسلام والعروبة مجدهما، ويرفع عنهما ويلات الذّل والاستكانة والظلم والإهانة التي خيّمت على المجتمعات الإسلامية والعربية جراء هزائمها المتلاحقة أمام أعدائها شرقاً وغرباً.

ثانياً: محور الصبر والوفاء:

أ- **الصبر وعدم الجزع:** صفات إنسانية، وفضائل خلقية يفتقر إليها الإنسان لتحقيق كثير من الأخلاقيات كالكرم والشجاعة والحلم والعفة والزهد وغيرها[23]، والسلوكيات والمشاعر الإنسانية الأخرى كالحب والحزن والغضب وغيرها، فضلاً عن تحقيق الطموحات والأهداف المادية كالإنجاز والنجاح وما شابه ذلك من الجهود والأعمال التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها في جوانب حياته الإنسانية المختلفة.

ونظراً لتلك الأهمية فقد شغل خلق الصبر مساحة لا بأس بها من قصائد الشاعر العربي ومقطعاته الشِّعرية في مختلف عصور الشِّعر الأدبية.

وفي العهد المملوكي الأول يعبّر الشُّعراء عن هذا الخلق مبرزين أهميته في حياة الإنسان، من ذلك وصف البهاء زهير ت656هـ لصبر ممدوحه في المعركة حتى تنزّل النصر فقال: من الطويل

النصر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ت 764هـ، تحقيق علي أبو زيد، و آخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، 1998م، 5/372-374.

[21] ديوان صفي الدين الحلي، ص714.

[22] ينظر: الأدب العربي بين عصرين المملوكي والعثماني، نبيل خالد أبو علي، ط1، 2008م، ص42-43.

[23] ينظر: مفهوم الأخلاق في الشّعر العربي في العصر العباسي الأول، ص201-203.

ثَلاثَـةَ أَعـوامٍ أَقَمـتَ وَأَشـهُراً تُجاهِـدُ فـيهِم لا بِزَيـدٍ وَلا عَمـرِو

صَبَرتَ إِلى أَن أَنزَلَ اللَهُ نَصرَهُ لِذَلِكَ قَد أَحمَدتَ عاقِبَةَ الصَبرِ[24]

يصور الشاعر صبر ممدوحه في جهاد أعدائه بثبات حتى تنزّل نصر الله عليه مبرزاً قيمة الصبر من خلال استعمال أساليب فنية مختلفة منها الكناية في قوله(لا بِزَيدٍ وَلا عَمرِو) التي كنّى بها عن انفراده في الجهاد وخذلان الآخرين له، فتحقق النصر بثباته وصبره، وفي البيت الثاني تناص ديني مع بعض الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ الأنفال: ٤٦.

ومنه قول ابن قزل المشد ت656هـ داعياً إلى الصبر وعدم الجزع عند الشدائد والنّوازل: من الكامل

لا تجـــزعنَّ لحـــادثٍ فلرُبَّمـــا عُكِس العسيرُ به فصار يسيرا

بقميص يوسف نال يعقوبُ العمى وبريحِهِ من بعدُ عاد بصيرا[25]

يوجه ابن قزل نصحه في هذه الأبيات مبرزاً قيمة الصبر وعدم الجزع عند الشدائد، فما هو عسير اليوم سيكون يسيراً غداً، ويؤكد ذلك المعنى في البيت الثاني، متناصاً مع قصة نبينا يعقوب عليه السلام وصبره على فقد ولده يوسف عليه السلام الذي بقميصه نال أبوه العمى، وبه عاد بصيراً، فبنى الشاعر من ذلك مقابلة بديعية بين الحالين، فضلاً عن المطابقة بين العسر واليسر في البيت الأول، فأسهم المحسّنان البديعيان في توضيح قيمة الصبر دلالياً، وزيادة مستوى تأثير النص في المتلقي، ورفع درجة إمتاعه.

ويقول ابن الظهير الإربلي ت677هـ: من الخفيف

لا تضيقن ذرعاً بعاجل مكرو هٍ تُـــوافَ حميـــدةً أعقابُـــه

وإذا مـا علمـت عاقبـة الصبـ ـر عليه هانـت عليـك صعابُـه

ولكـم قرَّب البعيد لك الصبـ ـرُ وكم بعّد القريب ارتقابُه[26]

يوجه ابن الظهير نصحه لمن ألمت به المكاره، مبيناً عواقب الصبر عليها، وأهميته في تهوين المصائب وتذليل الصعاب، مبرزاً قيمة الصبر وأثرها في حياة الإنسان النفسية من خلال المقابلة البديعية في البيت الثالث بين حال الإنسان الصابر والجازع.

ويقول الشاب الظريف ت688هـ: من الكامل

لا تجـزعَنَّ فلسـتَ أَوّلَ مُغْـرَمٍ فتكـتْ بِهِ الوجْنَاتُ والأَحْـدَاقُ

واصْبِرْ عَلى هجْرِ الحبِيبِ فَرُبَّمَا عَـادَ الوِصَـالُ ولِلْهَـوى أَخْـلاقُ

كـمْ لَيْلَةٍ أَسْهَرْتُ أَحْداقي بِهَا مُلْقىً وللأَفْكَارِ بِي إِحْدَاقُ[27]

---

[24] ديوان البهاء زهير، شرح وتحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ومحمد طاهر الحبلاوي، دار المعارف، القاهرة، ط2، دت، ص101، والشاعر هو أبوالفضل زهير بن محمد بن علي بن يحيى المهلبي الأزدي، حجازي الأصل والمولد وأقام وعاش بمصر حتى توفي فيها سنة 656هـ، ينظر ترجمته في مقدمة الديوان ص8-10.

[25] مسالك الأبصار في ممالك الأمصار 181/18.

[26] الصبر مطيّة النجاح قصيدة في الحكم لابن الظهير الإربلي ت677هـ، جمعها وفسّر ألفاظها عبد القادر المبارك، دار الفكر-دمشق، ط1، 1990م، وأعيد طبعها 2001م، ص29-32، والشاعر هوالشيخ مجد الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمرو بن أحمد بن أبي شاكر، ابن الظهير الإربلي الحنفي، شاعر شامي مكثر له ديوان شعر في مجلدين، توفي بدمشق سنة 677هـ، ينظر: ترجمته في فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاكر ت764هـ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، 1973-1974م، 301/3- 302.

يوصي الشاعر في الأبيات السابقة العاشق إلى التدرع بالصبر على معشوقه، وتحمّل آلام هجره وفراقه، مسلياً له بأنه ليس أول من كابد هذا الأمر، مستعملاً بعض الأساليب الإنشائية التي خرجت عن مقتضى الظاهر، لغرض النصح والإرشاد، مثل: النهي في قوله:(لا تجزعَنَّ)، والأمر في قوله:(واصْبِرْ)، كما استعمل بعض أساليب البديع منها الجناس بين كلمتي:(أحداق وأخلاق)، وبين كلمتي:(أحداق وإحداق) والطباق بين كلمتي:(هجر ووصال)، وقد تضافرت كل تلك الأساليب في إبراز قيمة الصبر، وأهميته للإنسان في نيل مطالبه، في كل جوانب الحياة الإنسانية المختلفة ومنها المطالب النفسية والعاطفية.

ومنه قول ابن نباتة ت768هـ: من الكامل

ولرُبَّ ليلٍ في الهمومِ كدمّل صابرته حتَّى ظفرت بفجرِهِ

ولربَّما يجني الزمان على امرئٍ مجنى ويا عجباً حلاوة صبرِهِ

ولربَّما أصبحت قاضي معشرٍ فاصْبر على حلو الزمان ومرِّهِ[28]

يشير الشاعر في الأبيات السابقة إلى أهمية الصبر في مواجهة هموم الحياة التي غالباً ما تحدق بالإنسان ليلاً، ويدعو الإنسان إلى التدرع بالصبر على أحوال الزمان حلوها ومرّها، واستفاد الشاعر من عناصر فنية مختلفة في إيضاح فكرة نصّه منها الصورة التشبيهية في قوله:(ولرُبَّ ليلٍ في الهمومِ كدمّل)، والتورية اللطيفة في قوله(ظفرت بفجرِهِ)؛ إذ ورّى بالمعنى القريب، وهو فجر الدمّل أي:(انفجاره وإخراج القيح منه) عن الفجر الذي ينتهي به الليل المليء بالهموم، وهو المعنى البعيد والمراد، واختتم النصّ بعنصر الطباق بين كلمتي:(حلو ومرّ) اللتين تبرزان حالة الصبر الموصوفة بالمرارة، وحالة تحقق عاقبة الصبر الموصوفة بالحلوة، وربّما تناص ابن نباتة في بناء فكرة البيت الأول مع قول امرئ القيس بن حجر: من الطويل

وَلَيلٍ كَموجِ البَحرِ أَرخى سُدولَهُ عَلَيَّ بِأَنواعِ الهُمومِ لِيَبتَلي

فَقُلتُ لَهُ لَمّا تَمَطّى بِصُلبِهِ وَأَردَفَ أَعجازاً وَناءَ بِكَلكَلِ

أَلا أَيُّها اللَيلُ الطَويلُ أَلا اِنجَلي بِصُبحٍ وَما الإِصباحُ مِنكَ بِأَمثَلِ[29]

ولكنّ ابن نباتة استطاع أن يوجز فكرة الأبيات الثلاثة لامرئ القيس ببيت واحد مستفيداً من عنصري التصوير والتورية اللذين أسهما بقوة في إيجاز الفكرة وإيضاح المعنى.

فالشّعراء في النصوص السابقة قد دعوا الإنسان إلى التدرّع بالصبر في جميع شئونه وعدم الجزع من الدهر ونوائبه، فالصبر عواقبه محمودة، ومعاناته مستعذبة، وهي معاني تدل على عظمة هذا الخُلق وحاجة الإنسان إلى التحلي به لبلوغ مآربه وغاياته في الحياة الإنسانية.

ب- الوفاء وحفظ العهد:

الوفاء وحفظ العهود من القيم الإنسانية الأصيلة في النفس البشرية، وعلامة فارقة على سمو الإنسان ورقّيه، واحترامه لذاته، ورعايته لحقوق الآخرين، لذلك كان الوفاء من أهم القيم التي افتخر بها الشاعر العربي، وعدّها واحدة من مآثره الكبرى[30] في سجل تاريخه

---

(27) ديوان الشاب الظريف، تحقيق شاكر هادي شكر،مكتبة النهضة العربية، وعالم الكتب، ط1، 1985م، ص161، والشاعر هو شمس الدين بن عفيف الدين سليمان التلمساني، وقد غلب عليه لقب الشاب الظريف، ولد في مصر وتوفي وهو شاب في دمشق سنة 688هـ، ينظر: ترجمته في مقدمة الديوان، ص5-16.

(28) ديوان ابن نباتة المصري، ص225-226.

(29) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط5، دت، ص18.

(30) ينظر: الإنسان في الشّعر الجاهلي، ص308.

الإنساني العريق، وفي العهد المملوكي الأول يعبّر الشّعراء عن هذا الخلق النبيل وربّما العزيز في زمانهم، فنجد البهاء زهير ت656هـ يعبّر عن وفائه لأحبابه وحفظ عهوده لهم فيقول: من الطويل

عَلى أَنَّني ذاكَ الوَفِيُّ الَّذي لَهُ   عُهودُ هَوىً تَبقى عَلى الحَدَثانِ

فَما فاضَ ماءُ النيلِ إِلّا بِمَدمَعي   لَقَد مَرَجَ البَحرَينِ يَلتَقِيانِ(31)

فالشاعر يبرهن على وفائه لأحبابه وحفظ عهوده لهم بما يجري على خدّه من الدموع، وما يختلج في قلبه من المشاعر، مصوّراً كثرة جريان دموعه بنهر النيل الذي فاض والتقى بالبحر، مقتبساً تلك الصورة من القرآن الكريم وهو قوله تعالى: ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ الرحمن: ١٩، وهذا التصوير يبرز فيه الشاعر عظمة قيمة الوفاء وحفظ العهد التي يتميز بها الشاعر، ويعامل بها أحبابه.

وهذا مجير الدين ابن تميم ت684هـ يطالب حبيبه حفظ الوداد والوفاء بعهده قائلاً: من الكامل

يا مَن تلوّن في الوداد ولم أزل   أبـدًا بحُسـن وداده أتمسـكُ

المـاء منـه حياتنـا وسـرورنا   وإذا تلوّن أو تغيّر يُترك(32)

يعبّر الشاعر في البيتين عن تمسّكه بحبّه لحبيبه ويطالبه بوفائه بعهوده وحفظ وداده، مشبّهاً الودّ والمحبة بالماء إذا أسن عافته النفس وتركته، وهو تصوير يبرز أهمية الوفاء بعهود المودة والمحبة لاستمرار العلاقات الإنسانية، وتحقيق الانسجام الاجتماعي.

ويجعل تقي الدين السروجي ت693هـ الوصل والوفاء شرط دوام المحبة، مستعملاً المقابلة والمجانسة لإبراز ذلك المعنى فيقول: من الطويل

معاملة الأحباب بالوصل والوفـا   فدع يا حبيبي عنك ذا الصدّ والجفا(33)

وأمّا صفي الدين الحلي ت752هـ فيشكو ضياع هذا الخلق النبيل ونفاسته في أهل زمانه، فيقول: من الكامل

لما رَأَيتُ بَني الزَمانِ وَما بِهِم   خِـلٌّ وَفِيٌّ لِلشَـدائِدِ أَصـطَفي

أَيقَنتُ أَنَّ المِستَحيلَ ثَلاثَةٌ   (الغولُ وَالعَنقاءُ) وَالخِلُّ الوَفي(34)

فالشاعر يشكو انعدام خلق الوفاء في أبناء زمانه، ويعدُّ وجوده من المستحيلات؛ ولذلك فهو يقرنه في العدم والنّفاسة مع(الغولُ وَالعَنقاءُ) اللذين لم يعد لهما وجود حقيقي سوى في الأساطير وألسنة الناس.

بمثل تلك الصور الشّعرية والمعاني الإنسانية عبّر الشّعراء في العهد المملوكي الأول عن أهمية خلق الوفاء وحفظ العهود لا سيما بين الأحباب، فهو شريان حياة العلاقات الإنسانية ومعين استمرارها، وبدونه تأسن تلك العلاقات وتتعفن، وتبرز أهمية ذلك الخلق كثيراً عند الشدائد والملمّات، إذ لن يساند المرء فيها إلا الصديق الوفيّ، كما أنّ الخلّ الوفيّ يحفظ عهود محبته مهما طال البين وعزّ اللقاء، وذلك كلّه من الأخلاق التي ينشدها الإنسان في خلّانه وأحبابه.

---

(31) ديوان البهاء زهير، ص257.

(32) ديوان مجير الدين ابن تميم ت684هـ نظرات واستدراك، ص54.

(33) ديوان تقي الدين السروجي ما تبقى من شعره وموشحاته، ما تبقى من شعره وموشحاته، جمع وتحقيق ودراسة، نبيل محمد رشاد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2011م، ص62، والشاعر هو تقي الدين أبو محمد عبدالله بن علي بن منجد بن بركات السروجي، شاعر شامي متصوف ولد بالشام وتوفي في مصر سنة 693هـ ينظر: ترجمته في مقدمة الديوان ص11-12.

(34) ديوان صفي الدين الحلي، ص669، ومعنى (الغُول) ، بِالضَّمِّ: السِّعْلاة، وَالْجَمْعُ أَغْوال وغِيلان. والتَّغَوُّل: التَّلَوُّن، يُقَالُ: تَغَوَّلَت المرأَة إِذا تَلَوَّنَتْ، ومعنى(العنقاء) العَنْقاءُ المُغْرِبُ وهو طائرٌ يكون عند مَغرب الشّمس، والعَنْقاء: العُقاب، وَقِيلَ: طَائِرٌ لَمْ يَبْقَ فِي أَيدي النَّاسِ مِنْ صِفَتِهَا غَيْرُ اسْمِهَا، وقد جمع الشاعر بينهما وبين الخلّ الوفي لاستحالة الحصول عليها، ينظر: لسان العرب، لابن منظور ت711هـ، تحقيق نخبة من العاملين بدار المعارف، دار المعارف القاهرة، ص3318، مادة غول، ومادة عنق،ص 3136.

ثالثاً: محور الصداقة والمودة:

تعدُّ علاقات الصداقة والمودة من القيم الإنسانية المهمّة في المجتمعات البشرية، فبها يتمّ إزالة حواجز الوحشة بين الناس، ومدّ جسور التعارف، وبثّ روح الأمن والسكينة داخل المجتمعات الإنسانية، فضلاً على ما فيها من دلالة على سمو الروح الإنسانية ونقائها[35]؛ ونظراً لتلك الأهمية فقد تغنى الشاعر العربي في العهد المملوكي الأول بقيم الصداقة والمودة، وعبّر عنها في شعره، متناولاً أهميتها وآدابها وصورها وتجاربه الذاتية فيها.

فهذا البهاء زهير ت656هـ يشير إلى آداب الزيارة فيقول: من المجتث

وَعائِدٍ هُوَ سَقَّمٌ لِكُلِّ جِسمٍ صَحيحِ
لا بِالإشارة يَدري وَلا الكَلامِ الصَريحِ
وَلَيسَ يَخرُجُ حَتّى تَكادَ تَخرُجُ روحي[36]

يعبّر الشاعر في النص بأسلوبٍ فكاهي عن واحدة من آداب الزيارة بين الأصدقاء، هي التخفيف في المكث وعدم الإطالة لاسيما عيادة المريض، واستعمل الشاعر لإبراز ذلك بعض فنون البديع كالطباق بين (سقم وصحيح)، والمقابلة بين شطري البيت الثاني، والمجانسة بين(صحيح وصريح)، فضلاً عن الصورة التشبيهية اللافتة في البيت الثالث، التي شبّه فيها خروج الزائر الثقيل بخروج الروح بعد طول منازعة، وهناك أمور تكدّر صفو المودة بين الأصدقاء، منها الحسد والغيبة والنميمة ونكران الجميل وإظهار المساوئ، ومنها ذكر الصديق بسوء في غيبته وإلى ذلك يشير البهاء كذلك بقوله: من الوافر

صَديقٌ لي سَأَذكُرُهُ بِخَيرٍ وَأَعرِفُ كُنهَ باطِنِهِ الخَبيثا
وَحاشا السامِعينَ يُقالُ عَنهُ وَباللَهِ اِكتُموا ذاكَ الحَديثا[37]

ويقول ابن قزل المشد في صديق له اسمه محمود، يشكره على زيارته: من المنسرح

يا فاضلاً خاطري وخاطِرهُ في حبّه شاهدٌ ومشهودُ
إن غبتَ عنا وإن مررتَ فأنت في الحالتين محمودُ[38]

يؤكد الشاعر لصديقه حفظه لعهد الصداقة في حالي الحضور والغياب، ويبرز ذلك المعنى مستعملاً ألواناً من البديع منها المقابلة والمجانسة بين (خاطري وخاطره، وشاهد ومشهود، وغبت عنا ومررت بنا) والتورية اللطيفة في كلمة(محمود) فالمعنى القريب أنه محمود الذكر، والمعنى البعيد أنّ اسمه محمود، وكذلك التناص القرآني مع قوله تعالى: ﴿ ﴾ البروج: ٣.

وهذا أبو الحسين الجزار ت679هـ يعدّ الصداقة عقد يصعب الخروج منه مشبّها الصديق بالخط يسهل رسمه لكن يصعب كشطه فيقول: من مجزوء الكامل

من منصفي من معشر كثروا عليَّ وأكثروا
صادقتهم وأرى الخرو ج من الصداقة يعسرُ
كالخط يسهل في الطرو س ومحوه يتعذرُ
وإذا أردت كشطته لكن ذاك يؤثر[39]

---

(35) ينظر: مفهوم الأخلاق في الشِّعر العربي في العصر العباسي الأول، ص223.
(36) ديوان البهاء زهير، ص57.
(37) المصدر السابق، ص53.
(38) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار 179/18.

ويقول ابن الوردي ت749هـ وصايا في الصداقة ومخالطة الناس منها التغافل عن أخطائهم والابتعاد عن النميمة:من الرمل

وتغافــلْ عــنْ أمــورٍ إنَّــهُ لمْ يفزْ بالرفدِ إلاّ مَنْ غفلْ

غبْ عنِ النمّامِ واهجرْهُ فما بلَّغَ المكروهَ إلاّ مَنْ نقلْ[40]

ويقول الصفدي ت764هـ مؤكداً ضرورة إظهار الجميل وإخفاء القبيح مما بدر من الصديق، مشبّهاً حال الأصدقاء في ذلك كحال الظلام مع النّار يظهر ضوءها ويخفي دخانها: من المتقارب

صديقك مهما جنى غطِّه ولا تُخــفِ شــيئاً إذا أحســنا

وكن كالظَّلام مع النار إذ يواري الدُّخانَ ويُبدِي السَّنا[41]

فالشّعراء قد أشاروا إلى أهم الآداب التي بها تدوم الصداقة والمودة، والألفة والمحبة، بين الناس كتعاهد الصديق بالزيارة والتزام آدابها، وحسن استقباله، والثناء عليه، وعدم تتبع زلاته، والتغاضي عن هفواته، والعفو عما بدر من أخطائه.

ومما يمكن وصفه من أشعار الصداقة والمودة ما كان يدور بين الشّعراء من مراسلات ومعاتبات وُدِّية، وهي تشكل"صورة من الشعور الإنساني النبيل، النابع من أعماق النفس"[42] الإنسانية، نظراً لصفائه ونقائه من المطامع المادية والأغراض الشخصية.

وقد شاع من ذلك كثير في العهد المملوكي الأول، وربّما استعاض الشّعراء به عن شعر المديح الذي كسد سوقه قليلاً في هذا العهد، فمن شعر المراسلات قول البهاء زهير ت656هـ: من الكامل

وَأَخـوكَ مَـن شَـهِدَ الوَفـاءُ بِـودِّهِ وَشَـكا لِمـا تَشـكو مِـنَ الحَـدَثانِ

وَأَجابَ داعي الخَطبِ(عنكَ)بِمالِهِ وَالماضِـــيَينِ مُهَنَّـــدٍ وَسِـــنانِ

هَـذا وَمـا بِالعَهـدِ مِـن قِـدَمٍ وَمـا عِنـدي لِمـا أولَيـتَ مِـن كُفـرانِ

مِـنَنٌ أَتَتـني وَهـيَ مُسـرِعَةُ الخُطـا سَـبَقَتْ إِلَيَّ حَـوادِثَ الأَزمـانِ

فَلَأَشـكُرَنَّ عُهودَهـا وَعِهادَهـا بِصَـفاءِ وُدٍّ أَو صَـفاءِ بَيـانِ

لَم يَبـقَ لي إِلّاكَ خِـلٌّ مُحسِـنٌ وَعَسـاكَ أَن تَبقـى عَلـى الإِحسـانِ

---

(39) خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبو بكر علي المعروف بابن حجة الحموي ت837هـ، شرح عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1987م، 2/ 59.

(40) ديوان ابن الوردي، تحقيق عبدالحميد هنداوى، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2006م، ص279، والشاعر هو زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر المعريّ بن الوردي شاعر وأديب مشهور توفي بحلب سنة749هـ، ينظر: ترجمته في مقدمة الديوان السابق، ص7-12.

(41) الصفدي وشرحه على لامية العجم، دراسة تحليلية، نبيل محمد رشاد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007م، ص396، ملاحظة في الدراسة جمع لشعر الصفدي في شرح لامية العجم، والشاعر هو صلاح الدين أبوالصفا خليل بن أيبك الألبكي الصفدي، شاعر وكاتب شامي مشهور له مؤلفات كثيرة في الأدب والتاريخ والتراجم وغيرها توفي سنة764هـ، ينظر: ترجمته في المصدر السابق، ص65.

(42) شعر ابن فضل الله العمري ت749هـ جمع وتوثيق ودراسة، علي محمد علي غريب، ماجستير، جامعة الخليل،2008م، ص 72، والشاعر هو شهاب الدين أبوالعباس أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، يتصل نسبه بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ولد وعاش في دمشق وهو كاتب وشاعر وهو من أسرة أدبية، توفي في دمشق سنة749هـ، ينظر: ترجمته في مقدمة الدراسة، ص4-43.

إنّي لَأَعجَــزُ أن أرى مُــتَحَمِّلاً غَدرَينِ: غَدرَ أَخٍ وَغَدرَ زَمانِ[43]

هذه مراسلة مصحوبة بالهدية كتبها الشاعر إلى أخٍ وصديق يشكره على هداياه ونعمه ووفائه وصدق أخوّته، وقد وظّف فيها بعض عناص البديع أبرزها حسن التقسيم في قوله:(وَالماضِيَينِ مُهَنَّدٍ وَسِنانِ)، وقوله:(بصَفاءِ وُدٍّ أَو صَفاءِ بَيانِ)، وقوله:(غَدرَينِ: غَدرَ أَخٍ وَغَدرَ زَمانِ)، وجمال التصوير في قوله:(مِنَنٌ أَتَتني وَهيَ مُسرِعَةُ الخُطا)، وقوله:(سَبَقَتْ إِلَيَّ حَوادِثَ الأَزمانِ) والمجانسة في قوله:(عُهودَها وَعِهادَها)، وقد أسهمت هذه العناصر الفنية في إبراز قيمة العلاقات الأخوية بين الشاعر وصديقه.

ومنها قول الصفدي ت764هـ: من الطويل

أيــا ســيداً أرجــو دوام ظلالــه علينــا وأن يمســي بخــيرٍ كمــا يُضــحي

وحقك ما هذي ضحايا بعثتها ولكنني سقت الأعادي إلى الذبحِ[44]

أهدى الصفدي لصديقه الشاعر ابن فضل الله العمري ت749هـ ضحايا في عيد الأضحى مصحوبة بهذه الأبيات الشعرية التي تحمل معاني الظرافة والنكتة، مستعملاً بعض الأساليب الإنشائية كالنداء في قوله:(أيا سيداً)، والقسم في قوله:(وحقك)، وبعض عناصر البديع كالطباق في قوله:(يمسي بخيرٍ كما يُضحي) والتصوير في قوله:(سقت الأعادي إلى الذبحِ)، وقد ردّ عليه العمري بأسلوب دعابي وفني مشابهٍ قائلاً: من الطويل

أتتني ضحاياك التي قد بعثتها لتصــبح كالأعــداء في بكــرة الأضــحى

وحَقِّكَ أعدانا كلابٌ جميعهم وحاشاك(لا تُجزي)الكلاب لمن ضحَّى[45]

ومن شعر المعاتبات بين الأصدقاء قول ابن الظهير الإربلي ت677هـ: من مخلع البسيط

مواعــدُ الفخــرِ والشــهابِ أكذبُ من لامع السرابِ

أحســنتُ بالســيدين ظنــاً فكان نقباً على خرابِ

لــو انصــفاني بفــرط شــوقي لوافيــاني بــلا طــلابِ

وهل أمنا الصعبَ من ملامي والمؤلمَ المرَّ من عقابي[46]

في هذه الأبيات يُعاتب ابن الظهير الإربلي صديقيه الشهاب الحلبي ت725هـ والفخر ابن الجنّان[47] في خلفهما وعدهما له بأسلوب تصويري تظهر فيه المداعبة والملاطفة لهما، وقد ردّ عليه الشهاب محمود واصفاً أبياته السابقة، ومعتذراً بأسلوب مشابهٍ قائلاً: من مخلّع البسيط

أبــارقٌ لاح في صــباح أم نُظــمَ الــدّرُ في سِــخابِ

---

(43) ديوان البهاء زهير، ص252-253، وكلمة(عنك) في البيت الرابع وردت في الديوان(فيك) ولا يستقيم المعنى بها ولعل الصواب ما أثبتناه.

(44) كتاب الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي ت764هـ، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م، 165/8.

(45) شعر ابن فضل الله العمري ت749هـ، ص 204، وكلمة(لا تُجزِي) وردت في الدراسة (لا تُجزَى) ولا يستقيم المعنى بها، ولعل الصواب ما أثبتناه من كتاب أعيان العصر وأعوان النصر، 433/1.

(46) فوات الوفيات والذيل عليها، 308/3-309.

(47) الفخر ابن الجنان هو محمد بن سعيد بن هشام بن الجنان، الشيخ فخر الدين أبوالوليد الشاطبي، كان أديباً فاضلاً، وشاعراً محسناً، ت675هـ، ينظر: ترجمته في فوات الوفيات والذيل عليها، 3 /263.

أم أسطرٌ فرَّ جيشُ همي حين تسارعن في طلابي
لم يرَ من قبلها محبٌ كتائباً سرن في كتابِ
لم يُخلِفا الوعدَ بل أقاما ليأخذَ الجوعُ في التِهابِ
ويستطيلا بكل ناب كالصارم العضب غير نابي
ويصبحُ الفخر وهو جاثٍ ينقض للأكل كالشهابِ[48]

وهكذا نجد إنّ شعر المعاتبات والمراسلات لدى شعراء العهد المملوكي الأول قد شكّل صورةً صادقةً عن واحدة من أهم العلاقات الإنسانية في المجتمع العربي، عكس الشّعراء من خلالها ما كان يربط الإنسان بأخيه من صدق علاقات المودة، وصلات الأخوة، وروابط التكافل والمواساة، في زمن طغى فيه شبح الظلم والفقر، وأوصد السلاطين والأغنياء أبوابهم في وجه الشاعر العربي، فكانت تلك العلاقات الودية والصلات الأخوية بمثابة الحصن الذي يحتمي به من جحيم الأوضاع المعيشية، وتفاقم الظلم السياسي، وانعكاساتهما على نفسية الشاعر ومكانته في المجتمع.

الخاتمة: ويمكن تلخيص نتائج هذا البحث وتوصياته فيما يأتي:

1- إنّ الشّعراء في العهد المملوكي الأول قد صوروا كثيراً من الأخلاقيات والقيم الإيجابية في مجتمعاتهم، ودعوا إلى التحلي بها، كالكرم والشجاعة، والصبر والوفاء، والمودة والصداقة وغيرها، والتي تترجم في مجموعها أصالة الإنسان العربي وعلاقته الوثيقة بإرثه الإنساني القيمي والحضاري.

2- عكست الشواهد الشعرية قدرة الشاعر العربي على إبراز تلك القيم وتصويرها بشكلٍ واقعي، يترجم حقيقة المجتمع وواقعه المعيش، وبالتالي تأكيد إنسانية الشعر العربي، ورقي أهدافه وغاياته.

3- يوصي البحث بدراسة موضوع القيم والأخلاقيات السلبية للإنسان في النطاق الزماني والمكاني نفسيهما لهذا البحث استكمالاً للصورة العامة للقيم والأخلاقيات الإنسانية للشعر العربي في العهد المملوكي الأول.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. الأدب العربي بين عصرين المملوكي والعثماني، د نبيل خالد أبو علي، ط1، 2008م.
2. الأدب في العصر المملوكي، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، د ط، دت.
3. أعيان العصر وأعوان النصر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ت 764هـ، د علي أبو زيد، و آخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، 1998م.
4. آفاق الشّعر العربي في العصر المملوكي، ياسين الأيوبي، جرّوس برس، ط1، 1995م.
5. الإنسان في الشّعر الجاهلي، عبدالغني أحمد زيتوني، مركز زايد للتراث والتاريخ،الإمارات،ط1، 2001م.
6. الإيجابية والسلبية في الشّعر العربي بين الجاهلية والإسلام، علي شواخ إسحاق، دكتوراه، جامعة القديس يوسف- بيروت، 1981م.
7. تحليل الخطاب الشعري(استراتيجية التناص)، د محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1992م.

[48] المصدر السابق،309/3.

8. تذكرة ابن العديم كمال الدين ابن أبي جرادة ت660هـ، تحقيق إبراهيم صالح، دار الكتب الوطنية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1، 2010م.
9. خزانة الأدب وغاية الأرب، الشيخ تقي الدين أبو بكر علي المعروف بابن حجة الحموي ت837هـ، شرح عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1987م.
10. ديوان البهاء زهير، شرح وتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد طاهر الجبلاوي، دار المعارف، القاهرة، ط2، د ت.
11. ديوان التحريض على حفظ أوزان القريض تصنيف أبي الحسين الجزار ت679هـ، تحقيق محمود عبدالرحيم صالح وعبدالحليم حسين الهروط، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، م5، ع3، تموز2009م.
12. ديوان تقي الدين السروجي ما تبقى من شعره وموشحاته، جمع وتحقيق ودراسة، نبيل محمد رشاد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2011م.
13. ديوان الشاب الظريف تحقيق شاكر هادي شَكر، مكتبة النهضة العربية،وعالم الكتب، ط1، 1985م.
14. ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري، تحقيق عمر موسى باشا، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د ط، د ت.
15. ديوان صفي الدين الحلي، دار صادر، بيروت، د ط، د ت.
16. ديوان ابن قزل المشدّ ت 656هـ، دراسة وتحقيق، هاني محمد حمود الرفوع، جامعة مؤتة، 2000م.
17. ديوان مجير الدين ابن تميم ت684هـ، نظرات ومستدرك، د عباس هاني الجراخ، منشورات دار الفرات للطباعة في بابل، ط1، 2009م.
18. ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط5، دت.
19. ديوان ابن نباتة المصري للشيخ جمال الدين ابن نباتة المصري الفاروقي ت 768هـ، الناشر محمد القلقيلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، د ت.
20. ديوان ابن الوردي، تحقيق عبدالحميد هنداوى، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2006م.
21. ذيل مرآة الزمان، لأبي الفتح اليونيني ت 726هـ، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، ط2، 1992م.
22. شعر ابن فضل الله العمري ت749هـ جمع وتوثيق ودراسة، علي محمد علي غريب، ماجستير، جامعة الخليل، 2008م.
23. الصبر مطيّة النجاح قصيدة في الحكم لابن الظهير الإربلي ت677هـ، جمعها وفسّر ألفاظها الشيخ عبد القادر المبارك، دار الفكر- دمشق، ط1، 1990م، وأعيد طبعها 2001م.
24. الصفدي وشرحه على لامية العجم دراسة تحليلية، د نبيل محمد رشاد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007م.
25. فوات الوفيات والذيل عليها والذيل عليها محمد بن شاكر ت764هـ، تحقيق د إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، 1973-1974م.
26. القيم الأخلاقية في الشعر العربي الجاهلي، انتصار مهدي عبدالله، رسالة دكتوراه، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، 2008م.
27. القيم الأخلاقية والإنسانية في شعر أبي فراس الحمداني وسلوكه، د سميحا زريقي، بحث في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، ع8، 2012م.
28. القيم الثقافية في لامية ابن الوردي، بودراس خلود، وبودراس سليمة، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2022م.
29. كتاب الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي ت764هـ، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط1، 2000م.
30. لسان العرب، ابن منظور، تحقيق نخبة من العاملين بدار المعارف، دار المعارف القاهرة.

31. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل الله العمري ت749هـ، تحقيق كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2010م.
32. مفهوم الأخلاق في الشِّعر العربي في العصر العباسي الأول، محمد شحادة تيم، دكتوراه، جامعة أم القرى، 1994م.
33. من القيم الأخلاقية في الشِّعر الجاهلي: دراسة موضوعية، سعاد سيد محجوب، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، مجلة اللغة العربية وآدابها، مج1، ع5، ديسمبر 2022م.
34. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ت681هـ، تحقيق د إحسان عباس، دار صادر بيروت، دط، 1977م.